٧

دنيا الانسان

ان دنيا الطبيعة ، دنيا الجداول والخمائل والورود ، دنيا الشمس ، أيام الربيع ، والظل الظليل ، إبان الصيف ، لم تصرف طريفا عن دنيا الانسان ، دنيا الفن ، والبلاغة والنغم ، دنيا التمثيل ، والغناء ، والموسيقى ، تلك الدنيا الفتانة الساحرة التي سواها ابن آدم لنفسه ، فجعلها كما شاء خياله ، واشتهت أحلامه ، ينتصر فيها الخير على الشر ، والحب على البغض ، ويهيمن الجمال على القبح ، والنبل على المكر والدهان ، فانطلق منـــــذ استقراره بالحى اللاتيني يمتطى « المترو » والحافلات والسيارات ويطوف وحده حينا ، وحينا معى أو مع رفيقة من رفيقاته على مسارح التمثيل ومحافل الموسيقى ، ومواطن الأغانى ، والصور الناطقة ، يستمتع بما أبدع العقل الغربى ، ونمق من أسباب المتعة ، والنعيم .

obeikandl.com

بيد أن الغصص كانت تفعم صدره كلما رآنى أقصد إحدى الحفلات الراقصة .

ان زمرة من الطالبات اللواتى توثقت بينه وبينهن أواصر المودة كن يدعونه الى بعض الحفلات ، التى تقيمها أسرهن ، طلبا للمسرة ورغبة فى تعارف الشبيبة الطامحة إلى الزواج ؛ ولكنه كان يعتذر دائما عن تلبية دعوتهن ؛ لا تدللا ، أو تقشفا ، بل يقينا منه أن وجود فتى كفيف مثله فى تلك الحفلات ؛ مما يلفت الأنظار ، ويدعو إلى التهامس ، الأمر الذى يمضه مهما نبل مقصد المتهامسين .

فلما علم بوجود مرقص لا يؤمه من المبصرين غير النساء نشط يتعلم الرقص حتى أجاد رقصة الفالس والتانجو ، وما اليهما من الرقصات المعروفة . وأصبح منذئذ ، ألزم لذلك المرقص من أهله يخف اليه مساء كل ثلاثاء ، لا يصده عن حفلاته امتحان ولا مرض . . .

ولعلك لا ترى بأسا فى أن أصف لك إحدى تلك الحفلات التى شهدتها معه .

كان ذلك في أواخر الربيع ، وكانت السماء فى تلك الليلة صافية الأديم ، والهواء سجسجا عليلا ، وكانت الروضة التى تفصل المرقص عن الطريق فسيحة ، تتخللها الأدواح اليابسة، والأحواض المتدفقة ، والرياحين الزاهية ، وتنيرها المصابيح الكهربائيـــة الملونة ، فتأخذ بمجامع المشاعر والحواس ، وكانت الأوانس يتجولن فى الروضة وهن يتهادين ويعبثن ضاحكات متلفتات . فما ان أبصر بعضهن ظريفا ، حتى وثبن نحوه برشاقة وأحطن به محييات ، مصافحات ، يسألنه أن ينشدهن كالعادة أبياتا من شعرنا العربي الذى يطربن لأنغامه ، وتوقيع قوافيه ، فأنشدهن قطعا للأحمدين الأميرين ، وسواهما ، من أغاريد الفكر والقلب والخيال ، فانتشين من النغم يخرج من روحه شعراً ، وينصب فى آذانهن سحراً .

ولما دقت الساعة التاسعة عزفت الجوقة الفخمة تفتتح الحفلة بلحن رائع من ألحان الفالس ، التى تحمل المرء بأنغامها الأخاذة على الرقص حملا ، فهب المدعوون إلى القاعة أفواجا

obeikandi.com

تتدافع ، وسرعان ما انتظموا أزواجا، يرقصون، ويمرحون، فى هرج ومرج صاخبين .

أما طريف ، فما كاد يتخطي عتبة القاعة، حتى اقتنصته وضمته الى صدرها العامر عانس شمطاء مفرطة فى الطول غليظة الجثة ناتئة الكرش ، فارتعب وخيل اليه حين عجز عن تطويقها أنه يراقص الهم والغم الجاثمين في هيكلها الكريم ، وكظم غيظه ، وراقصها، باسراً ، واجماً ، علها تخجل منه وتخلى سبيله .

وفى الدورة الثانيـة ، وجد نفسه جنباً الى جنب مع العانس ذاتها . فاستعاذ من الشيطانة بالشيطان ، وراح يراقصها ، رقصة الساخط المتمرد ، أملا بأن يفهم بالعنف والغلظة من لم تفهم باللين والاشارة . وفى الدورة التالية وهو على أشد ما يكون من الضيق ، والضجر . والأمل ، بانفراج الكرب ، فاذا به لا يلقى بجانبه غير قاتلته ، فلم يجد بداً من أن يدهس فى الرقص قدميها قائلا « عفوا آنستى » ليس على الأعمى حرج » فأطلقت سراحه وانطلق يشارك

obeikandi.com

المدعوين حفلتهم ، حتى منتصف الليل ، حيث انتثر نظمهم وانصرفوا إلى الروضة يتناولون طعام السهرة ، والمرطبات ، ويتجولون بين الخمائل . والورود هانئين مغتبطين .

وما هى غير لحظات حتى استأنفت الجوقة عزفها ، فعاد المدعوون الى القاعة وما زالوا يتنقلون بين القاعة ، والروضة حتى رأد الضحى فتناولنا الفطور وانصرفنا شاكرين مودعين .

وما ان أجزنا الروضة وامتطينا السيارة ، حتى ملت على طريف أسأله : ان كان يحب التمثيل والموسيقى حبه الرقص ، أم يؤثره عليهما ، فأجاب : « نشدتك الله ان تسألنى يا صديقى عما أحب » ، فما أحب ، أجل من أن يحصيه قلم أو إنسان ، بل سلنى عما أكره وما أكره قليل نادر ، لا يتجاوز اللؤم وخشونة الذوق .

إننى أحب التمثيل والغناء والموسيقى ، والسباحة وامتطاء الخيل ولعبة « البريدج » و « الشطرنج »

و « البيلوت » وكل لون من ألوان اللهو البرىء ، كما أحب الرقص ، اذ لكل لون مذاقه الخاص ، فلا أدع لونا منها دون التمتع به ، ما وجدت اليه سبيلا ، ولو انى أستطيع ان أحسن الصيد كما تستطيعه ، لما أحجمت مثلك عن مزاولته لحظة ، فقلت أداعبه : « لكنك تحسن صيد الغوانى يا ظريف ! . . قال مبتسما ، ما أخبثك يا صديقى ! ولكن ألم تشاهد ان بعض من تصيدت فى الحفلة نقمة ، لا رحمة ، وشقاء لا نعيم . ومأتى ذلك أن المرء قلما يستطيع أن يتخير فى هذا النادى مراقصته خلاف أندية المبصرين وحفلاتهم ، حيث تجيلون أبصاركم فى وجوه الغوانى ، فلا يراقص أحدكم الا من يهوى . ونحن العمى مساكين نظل قابعين فى مقاعدنا ، نرقب حسن الطالع منتظرين من نثير إعجابها ، فتتفضل بدعوتنا الى مشاطرتها لذة الرقص . وقد يتبلد الحظ فلا يجود بمن تحيي النفس ، وتطمئن اليها المشاعر . وقد تأتينا داهيـة من تلك الدواهى الكبار فى الرقصة الأخيرة ، فتذهب ببهجة سهرتنا ورونقها ، فننقلب

الى منازلنا ، ساخطين ، متظلمين ، تضيق بنا الدنيا وننقم حتى على أنفسنا . إلا ان إخواني العمى فطنوا إلى هـذه الدواهي الكبار تنصب عليهم في ناديهم فاشترطوا استبدال الرفيقات في الرقصة الأخيرة أملا بتخفيف الأذى، وتوزيعه بين الجميع . ودأبي في هـذا الأمر أن أعجبتني مراقصتي أمسكها مسكة الأعمى ، أمسكها لا بيدي وانما ببياني أسمعها قصة طريفة ، أو نادرة غريبة أو فكاهة مستملحة ، فتتعلق بي وتأبى مفارقتي ولا عيب ، أليس الحديث العذب أحبولة الغواني ، بل أليس البيان سحر الأفئدة والعقول ومسير الأمم والشعوب ؟

وهنا وقفت السيارة أمام معهد الحقوق فترجلت منها ودخلت طريف المعهد .